

فالأولى تشير إلى كثرة جماعه لها إذا دخل، فينطوي تحت ذلك تمدحها بأنها محبوبة لديه بحيث لا يصبر عنها إذا رآها، والذم إما من جهة أنه غليظ الطبع، ليست عنده مداعبة ولا ملاحظة قبل الواقعة، بل يثب وثوباً كالوحش، أو من جهة أنه كان سيء الخلق يبطش بها ويضربها، وإذا خرج على الناس كان أمره أشد في الجرأة والإقدام والمهابة كالأسد.

«ولا يسأل عما عهد»: يحتمل المدح والذم أيضاً، فالمدح بمعنى أنه شديد الكرم كثير التواضع، لا يتفقد ما ذهب من ماله، وإذا جاء بشيء لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك، أو لا يلتفت إلى ما يرى في البيت من المعاييب، بل يسامح ويغضي.

ويحتمل الذم، بمعنى أنه غير مبال بحالها، حتى لو عرف أنها مريضة أو معوزة وغاب ثم جاء لا يسأل عن شيء من ذلك، ولا يتفقد حال أهله ولا بيته، بل إن عرّضت له بشيء من ذلك وثب عليها بالبطش والضرب، وأكثر الشراح شرحوه على المدح.

والحديث يشير إلى أن الرجل لا بد أن يكون عنده شيء من الغفلة داخل البيت. قيل لأعرابي: من العاقل؟ قال: الفطن المتغافل.

فلا بد للرجل وإن كان سيداً مطاعاً أن يداري، والمدارة من خلق المسلم الحاذق. فكم من مشكلة تحدث في البيت بسبب أن الرجل لا يداري ولا يتغافل قليلاً، ولو أنه دارى أو تغافل لمرت المشاكل بسهولة، وما استفحلت داخل البيت، والرسول ﷺ أوصانا بذلك فقال: «إن المرأة خلقت من ضلع، وإنك إن ترد إقامة الضلع تكسرهما، فدارها تعش بها»<sup>(١)</sup>.

ومعنى ذلك: أن الرجل لا بد أن ينزل من مكان الرجولة إلى مستوى المرأة وهذه هي المدارة.

(١) رواه الإمام أحمد وابن حبان وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٩٤٤).